كذب المستشرقون.. ولو صدقوا!

نشرت الصحف أخيرًا ما يلي:

الطلاق الألكتروني. أو الطلاق عبر «الإنترنت» هو آخر صيحة في سلسلة التيسيرات التي تقدمها الولايات الألمانية لمواطنيها من أجل تقليل الإجراءات الروتينية.

وقد وقع الاختيار على تيسير الطلاق الالكتروني - وليس الزواج - بعد أن أعلنت الهيئة الاتحادية للإحصاء: أن حالات الطلاق في ألمانيا تبلغ نحو ٢٠٠٠٠ ألف حالة سنويًا.. في حين يصل عدد الزيجات إلى نصف هذا الرقم!..

وبناء على ذلك. فقد سمحت عدة ولايات بإنشاء مواقع على شبكة «الانترنت» تمكن الأزواج من الانفصال من خلال استخراج صورة من طلب الطلاق الرسمي وملء البيانات المطلوبة. ثم إرسالها إلى المحامي الذي يقدم الطلب للجهة المختصة.. وبذلك لا يحضر الزوج ولا الزوجة إلى المحكمة!

ويجيء هذا الخبر شاهدًا من بني إسرائيل على أهله:

يجيء في الوقت الذي تُشيع فيه أبواق الاستشراق بأن الطلاق في الإسلام هضم لكرامة المرأة التي يلقي بها زوجها في الشارع إلقاء لا يرعى إلاً ولا ذمة..

يزعمون أن المرأة تلقي.. أو تلفظ «كالنواة». بينما الأحق بالتهمة هؤلاء الذين يرموننا بدائهم حين يتم طلاقهم هكذا.. وبهذه السهولة.. وهذه السرعة.. التي لا تتيح فرصة للتفاهم والمراجعة.. وإنما هو الطرد من

الحياة الزوجية..

أما في الإسلام.. ومن خلال قصة.. «فاطمة بنت قيس» فإنك لا تحس بها وحدها.. وإنما هناك فريق عمل دائب الحركة.. لا تحس فيه المطلقة بالاغتراب.. ومن حولها كل هؤلاء الأصحاب موقنة بأن حقها لن يضيع أبدًا وأنها لن تكون بالطلاق ذلك الكم المهمل.. منبوذة خلف ظهورنا..

فالزوج هناك.. في ميدان المعركة مقاتلاً شريفًا.. لم تمنعه معركة الحياة والموت من أن يعيش مشكلة زوجته التي قرر طلاقها.. وهو في الميدان.. حتى تستطيع أن تدبر أمورها في بيت جديد؟!

وحتى لا يكون في إرجاء الطلاق إضرار بها..

●●●

وأخوه: ينوب عنه في تدبير شئونه أثناء غيابه.. مستجيبًا لأمر الشرع الذي يحكم الموقف كله.. بلا بذاء وبلا جفاء..

والمطلقة نفسها تذهب إلى الحاكم تدافع عن نفسها وعن حقها..

كل هذه الجهود.. أو هذه الأنهار: تصب في المحيط الكبير الذي ينطق بالحكم عدلاً.. وبالحكمة بالغة حد الكمال:

ومن حكمته (ﷺ) ذلك الاحتياط في الاعتداد.. الذي قرر أن يكون في بيت «عبد الله بن أم مكتوم» لا في بيت أم شريك..

ومع تسليمنا بطهارة الأعراق يومئذ.. إلا أنه اليقين بضراوة الغريزة التي يجب ألا نمكنها من أن تباشر سلطاتها في لحظة من لحظات الضعف الإنساني.

●●●

ولا يتركها (ﷺ) تغالب أمواج الأحزان وحدها ـ وإنما يظل معها حتى أخبرته بمن جاء يخطبها:

معاوية بن أبي سفيان وأبو جهم..

ويقلب (ﷺ) الأمر على وجهه.. صارفًا نظرها عن كلا الرجلين.. ثم يختار لها «أسامة بن زيد» (رضي الله عنهم) أجمعين..

●●●

الخيرة فيما اختاره الرسول:

رغم ترددها أول الأمر.. في شأن زيد.. إلا أنها اقتنعت به زوجًا بعدما رشحه الرسول مؤكدًا هذا الترشيح..

وكان من بركته أن جعله الله (تعالى) زواجًا مباركا «اغتبطت به».

●●●

النبي أولى بالمؤمنين:

أجل.. إنه (ﷺ): أولى بالمؤمنين من أنفسهم:

فهو وصيّ.. كالأب على ولده القاصر.

وهو يبيع ويشتري.. عن البائع والمشتري.

فلو تعلقت رغبته بامرأة.. حلّت له.

●●●

الله يغني كلا من سعته:

وقد أغنى «فاطمة بنت قيس» بأسامة بن زيد.. عوضًا عما فقدت.. وجزاء ما قدمت..

ثم كانت مثلا للزوجة الوفية..

ومن وفائها: حكمتها في التعبير عن عواطفها في اللحظات الحرجة..

والتي لم تفقد فيها توازنها..

بل ظلت تتحامل على نفسها.. حتى تجاوزت المحنة بسلام. لتجد نفسها تحت واحد من شباب الأمة المرموقين:

أسامة بن زيد!

●●●

ولو قد علمت الأطراف المعنية تدبير الله (تعالى) لما كان هناك خلاف ولا إسفاف.. ولأحلنا القضية على الباب العالي.. وعنده (عز وجل) من التدبير.. ما يرتاح به الضمير.

●●●

وتبقى وصيته (ﷺ) بالظفر بذات الدين.. تبقى خير الوصايا من حيث كان الدين خير عاصم من القواصم..

●●●

أما بعد:

فقد ترددت فاطمة (رضي الله عنها) بادي الرأي.. بعدما رأت من هيئة «أسامة بن زيد» ما لا يعين على قبوله زوجًا.

●●●

ولقد كرر الرسول (ﷺ) أمره.. فكان ذلك الأمر.. تلك الكلمة الطيبة التي أطلّت منها على فردوس الأسرة المستقرة.. فصار هواها فيما رضي الرسول لها.

●●●

وقد أكدت التجربة صدق نبوءته (ﷺ) مبدوءة بتجربة فاطمة (رضي الله عنها).. ومنتهية بملايين التجاريب التي وازن الخاطبون فيها بين المظهر

والمخبـر . . فلم يترددوا في الانحـياز إلى القلوب العـامرة بالإيمان . . غـير مفتونين بالجيوب الطافحة بالأصفر الرنان!!

●●●

ألا إن الأعالي إن المظاهر . . لا تخيفنا . .

وإنما تخيفنا . . إنما تأسرنا : الأعماق!

obeikandl.com

ينظرون ..
لكنهم لا يبصرون

اشتـرطت الفتاة عـلى أهلها ـ قبل إتمام الخطبـة ـ أن ترى خطيبـها من خلال النافذة!

فلما رأته حسبته فارس الأحلام.. من خلال عينيه الخضراوين؟!

ولهذا السبب وافقت على الفور..

ومع أن العين قد تكون «خضراء الدمن» كما أن الفتاة الجميلة قد تكون خضراء الدمن: حسناء.. في منبت السوء.. إلا أن الزواج قد تم بسلام.. ثم عاشا في وئام..

لكن يبقى ما نقوله تعليقًا على هذا الموقف.. وإتمامًا لحديثنا عن زواج فاطمة بنت قيس.. والتي ترددت في قبوله زوجًا بادئ الرأي:

●●●

نقول:

ماذا رأت الفتاة من خلال النافذة؟

رأت وجهًا صبوحًا.. وسمعت ضحكة آسرة؟

وماذا عن بقية أخلاق الفتى؟.. هذا الفتى الذي عناه الشاعر بقوله:

ولم أر أمـثـال الرجـال تفـاوتًا إلى المجـد.. حتى عُـد ألف بواحـد

●●●

ولكن.. لماذا كرهته.. قبل أن تكون قد عرفته؟

ذلك بأنه كان:

أسود..

وكان أفطس!!

●●●

ولا شك أن موجـة من القلق راوحتـها وغـادتها.. وتدافـعت أمواج أفكارها.. من السطح.. إلى السفح..

ثم قررت أن تعتذر. خارجة بهذا الاعتذار من طوفان من المشاعر التي تفاعلت في داخلها.. فكان هذا القرار..

لقد نظرت إلى أسامة بعين الراقد.. فلم تر شيئًا من حيث إنها وقفت عند الرغوة العائمة.. ونسيت أن من تحتـها شرابًا طهورًا.. وإننا نستطيع أن نشرب سلسـبيـلا.. ممن تحفظنا عليـهم.. ثم تكون عيوبـهم زكاة عن هذا الذي ارتشفناه!

لقد كانت ذلك الذي عناه الشاعر القائل:

يا نـاظرًا يـرنو بـعـــيني راقـــد

ومـشـاهدًا للأمـر.. غيـر مـشـاهِد

●●●

ويعينها المصطفى (ﷺ) على نفسها بقوله.. وللمرة الثانية:

«انكحي أسامة بن زيد».

لم يقل لها: اسمعي الكلام!

أدركي قدر من يخاطبك..

ولكنه (ﷺ) يعيد على سمعها اسم أسامة (رضي الله عنه).. فلعل في التذكار

ما يعين على نظرة مستقبلية أعمق.. تتخطى القشرة البادية.. لتتلمس ما في الأعماق من كنوز!

وهذا هو الذي حدث: قالت:

«فنكحته»

لقد أدركت.. وفي لحظة عاد إليها وعيها ـ أدركت أن الذي يأمرها هو محمد (ﷺ).. ذلك الرسول الذي يساق المسلم إلى السياف.. ولا يصاب حتى بالرعاف!

إنه الرسول الذي هو بالمؤمنين رءوف رحيم.

(إذا حاورته.. وجدته حكيماً..

وإذا غضب.. كان حليماً..

وإذا ظفر.. كان كريماً..

وإذا استُمنح.. مَنَح جسيماً..

وإذا وعد.. وفى.. وإن كان الوعد عظيما..

وإذا شكى إليه.. وجد رحيما)

●●●

ولقد كان (ﷺ) في هذا الموقف: حكيما.. حليما.. سمحا.. كريما.. رءوفا.. رحيما.. حين اختار لها كفئها من الرجال: أسامة بن زيد (رضي الله عنه) وهذه صحيفة أعماله:

أ ـ عيّنه (ﷺ) على جيش وهو تحت العشرين.. سار به إلى الشام.. وكان من جنود هذا الجيش: عمر بن الخطاب (رضي الله عنه).. فهو قائد عسكري.. وابن قائد عسكري..

ب ـ أمه: أم أيمن (رضي الله عنها)، والتي كانت حاضنة النبي (ﷺ).

جـ ـ وكان يسمَّى «حِب رسول الله» وقال فيه (ﷺ) فيما رواه ابن عمر:

«إن أسامة بن زيد لأحب الناس إليّ وأنا أرجو أن يكون من صالحيكم.. فاستوصوا به خيراً».

هذا الحب الذي عبر عن نفسه في هذا الموقف الذي روته عائشة (رضي الله عنها) حين عثر «أسامة» بعتبة الدار. فشج في وجهه.. فقال لي:

(ﷺ): «أميطي عنه» (أزيلي ما على وجهه).

تقول عائشة:

فكأني استقذرته..

فجعل رسول الله يمصه. ثم يمجه).

●●●

أسامة الذي كان من حكمته وشجاعته الذي قال لعليّ (رضي الله عنه) في محنته: (لو أدخلت يدك في فم «تنيِّن» لأدخلت يدي معها.. ولكنك قد سمعت ما قاله لي رسول الله (ﷺ) حين قتلت ذلك الرجل الذي شهد أن لا إله إلا الله.. وقد أعطيت الله عهدًا ألا أقتل رجلاً يقول: لا إله إلا الله.

●●●

وهذه هي «مواصفات» العروس الجديد.. وقبلها.. وفوقها.

شهادة الرسول الحبيب.. والذي ما أحبه إلا لهذه الخلائق الكريمة فيه..

●●●

وقد أكدت الحوادث صدق نبوءته (ﷺ). فيما شهدت به «فاطمة بنت

قيس» نفسها والقول ما قالت :

لقد قالت :

(فجعل الله فيه خيراً اغتبطت به).

لقد صار بيتها «صَدَفة» . . وكانت هي «الدرة الغالية» فيه . .

obeikandl.com

نعم: حلم جميل
لكنــه مستحيل

انفض مجلس الصلح بين الزوجين على الاستمساك بالميثاق الغليظ.. بعد معايشة دامت ربع قرن من الزمان..

ولكنها كلمة قالتها الزوجة مفادها: أن رجوعها إليه من أجل الأولاد.. وفرارًا من قالة السوء يُشيعها العاذلون..

ومعنى ذلك أنه ليس طرفًا في القضية.. وإنها ما زالت على ضلالها القديم: بذاء وجفاء!

إن الزوجة هنا خائفة من أن تصير في الحي «مطلقة» وذلك؛ عار تأباه كرامتها.. أما أن تجرب الحياة مرة أخرى. على نحو تلتئم به الجراح.. مع رفيق الكفاح.. أما هذا.. فلم يدخل في حسابها..

●●●

وكان طبيعيًا أن يتراجع الزوج في قراره .. بفراره من هذه التي عناها الشاعر:

أتت وحياض الموت بيني وبينها

وجادت بوصل.. حين لا ينفع الوصل!

●●●

وقلت للزوجة الناشز:

لا داعي لتلك الحساسية المفرطة: والطلاق وإن كان أبغض الحلال ..

إلا أنه حل إسلامي.. حين لا يكون سواه.. وفي موقفنا الذي نعلق عليه.. ماذا نرى؟

صحابي.. يطلق صحابية!!!

تزوجها على السنة. ثم ها هو يطلقها على السنة.. فأية غضاضة في هذا؟!

إننا نتحفظ على حق الطلاق في يد الرجل.. إذا كان باعث التغيير خوفًا أو طمعًا..

أما إذا كان نتيجة لتأملات وتجاريب.. تفرض علينا التغيير.. فهو الشر الذي لا بد منه: وذلك شأن الزواج في وجدان المسلم الملتزم..

إنه الفرق بين: العشق.. والود..

وإذا كان «العشق» أسهل.. لأنه لا يطلب منه «اللطف» إلا بعض الوقت.. فإن الزواج أبعد مدى.. لأنه يتطلب اللطف «كل الوقت»..

فإذا تعذر.. كان لا بد من الفراق.. والذي يتم بلا حسلسية؛ لأن الله (تعالى) هو الذي يزوِّج وهو الذي يطلق: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا...﴾ [التحريم: ٥].

وقلت للزوجة: صحيح أن المجتمع يظلم المطلقة أحيانًا.. محمِّلا إياها مسئولية ما حدث..

ولكننا نقول: لماذا لا يتحمل الزوجان المسئولية معًا.. وبنفس المقدار..

قد تكون الكلمة الأخيرة من قبل الزوجة.. فكانت في سلسلة لنزاع القشة التي قصمت ظهر البعير.. ولكن الشجرة الضخمة لا تسقط بالضربة الأخيرة..

وتصوروا مشهد شجرة «الصنوبر»:

إنها تضرب مائة مرة.. ولكنها لا تقع إلا عند الضربة المائة..

فهل تقول: إنها سقطت بها وحدها؟!

لا.. بل إن سقوطها بدأ عند الضربة الأولى!

●●●

وقلت للزوجة الغاضبة:

انظري إلى هذا «النجار» الذي يتصبب جبينه عرقًا.. في محاولته التوفيق بين ناحيتي النافذة.. تلك المحاولة التي باءت بالفشل.. لماذا؟

لأن طرفي النافذة: كلاهما كان تصميمه «يمين» فهو في حاجة إلى قسيم «شمال» يتحقق بها التجانس.. فالتكامل... فالتعاون على تحقيق الهدف..

ومن معاني ذلك أنه: لا حساسية.. إذا تم الطلاق:

فقد يكون كل من الزوج والزوجة على غاية ما يكون الكمال والجمال.. ولكن عنصر الانسجام مفقود..

وإذن.. فليس هناك من سبيل إلا فك الارتباط.. ليبحث كل طرف عن نصفه الملائم الموائم.. على ما يقول الشاعر:

أرى وجهًا: كضوء الفجر مبيضًا

وشعرًا كلون الليل: مسودًا

ضدان: لما جمِّعَا.. حسنا

والضد يظهر حسنه الضد!

ماذا حدث:

هناك بعض التفصيلات في رواية ابن كثير والذي روي:

(حدثنا عامر قال:

قدمت المدينة. فأتيت فاطمة بنت قيس. فحدثتني أن زوجها طلقها.. على عهد رسول الله (ﷺ).

فبعثه رسول الله (ﷺ) في سرية. قالت:

فقال لي أخوه:

أخرجي من الدار.. فقلت:

إن لي نفقة وسكني حتى يحل الأجل.

قال: لا.. قالت:

فأتيت رسول الله (ﷺ) فقلت: إن فلانًا طلقني ـ وإن أخاه أخرجني. ومنعني السكنى والنفقة..

فأرسل الرسول إليه فقال:

«مالك ولابنة آل قيس؟».

فقال: يا رسول الله: إن أخي طلقها ثلاثًا جميعًا. فقال رسول الله (ﷺ): «**انظري يا بنت آل قيس: إنما النفقة والسكنى للمرأة على زوجها ما كانت له عليها رجعة. فإذا لم يكن عليها رجعة.. فلا نفقة ولا سكنى**».

●●●

وهكذا يتم الخلاص في هدوء لا تسمع فيه هجرًا.. ولا ترى نكرا..

وإنما هناك ضمانة العدل وهو الرسول (ﷺ).. والذي هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم.. يتحمل مسئولية الموقف كلها..

ليكون حكمه في النهاية فصل الخطاب..

obeikandl.com

ذلك بأن مما يزيد الموقف تعقيداً هو ما يحـدث اليوم من تعدد وجهات النظر.. وكثرة الفضوليين الذن لا ناقة لهم في القضية ولا جمل..

وما يتـرتب على ذلك من تداخل المفاهيم.. في حربٍ سـجال.. لا تهدأ إلا لتبدأ من جديد..

ولن يطفئ نارها إلا «كبير العائلة» الذي يقرر أن الحب العقلي: يمكن العدل فيه: التحكم فيه..

أما ولَهُ القلوب فقد يصعب التحكم فيها..

وأحـيـانًا يحكم العـقل بإمكان تحـقق الحلم الجـمـيل.. ولكنه بلغـة القلوب: مستحيل!

obeikandl.com

إذا راح منا سيد قام سيد!

كانت الزوجة سيئة الخلق.. لم ير منها زوجها يومًا يبكي عليه!

ومع ذلك فقد صبر على مضايقاتها.. مقهورًا بسوء عشرتها على ما يقول الشاعر:

وصاحب كالدمّل الممد حملته في قطعة من جلدي

ورفض الزوج المظلوم فكرة الطلاق.. رغم توفر دواعيه. وفقدان عاذليه..

كل ما فعله هو كلما نزغها منه نزغ أنشد:

وإني لمشتاق إلى موت زوجتي

ولكنْ قرين السوء: باق معمرٌ

فياليتها في القبر كانت ضجيعة

يعذبها فيه منكر ونكير!

ولكن «أبا عمر بن حفص» طلق «فاطمة بنت قيس».

وفي الوقت الذي كانت ترقب عودته من أرض المعركة منتصرًا إذا به يرسل إليها «ورقة الطلاق» فكانت الصدمة التي لا تطاق!

وإذا كان هناك من الزوجات من غاب نجم سرورها فحزنت لغيابه.. فإن «فاطمة بنت قيس» لم يطلع نجم سرورها بالمرة حين كانت صدمتها صدمتين..

openkanal.com

وإن كان لزمـيلة لها نفس ظروفـها دموع تحـدرت على وجهـا... فإن دمع . . «فاطمة» مخزون يحرقها في أضلعها.

●●●

ضرائر

ولقد عبّرت عن المعـركة في أعمقاها برفض الشعـير من مطلقها الذي جمع عليها مصيبتين:

مصيبة الطلاق. ومصيبة الإهانة حين طلقها غيابيًا.

وحين كان «الشعير» متعتها. . التي لم تتمتع بها!

وأحيـانًا. . يكون «التـساهل» هو الوجـه القبـيح للتسـامح! من أجل ذلك. . لم تسـامح. . ثم ذهبت إلى النبي ﷺ تشكو إليه بثـها وحـزنها. . ولم يكن الحكم هنا لصـالحهـا. . ومع ذلك فـقد رضـيت به. . لأنه حكم رسول الله ﷺ.

●●●

تأمين مستقبل المطلقة:

ولكن. . يبقى مستقبل «المطلقة» فماذا أعددنا له؟

وأذكر هنا مشهد الدار في قريتي عندما ماتت سيدته:

لقد بكى الجـميع، إلا رب الدار الذي بدا صـامتًا كـئيبًـا. . لأنه كان مشغولاً بمستقبل الصغار. .

وإذا وجد اليوم من يبكي من أجله. . فـإن المصيبة الحقيـقية حين يعود

المعزون إلى ديارهـم.. ليواجه الوضع الجـديد وحده. ليـرى البستـان وقد صوحت أغصانه.. وطارت حمامته.. فلا هديل.. ولا بديل!

نفس هذا المعنى نذكره.. وقلوبنا تطير الآن من ضلوعـها بينما «فاطمة بنت قيس» تتجاوز عتبة الدار بلا تحية ولا وداع!

ولكن الرسول ﷺ يظل معها رؤوفًا رحيمًا:

أمـرها أن تعـتد في بيت «عـبـد الله بن أم مكتـوم».. لا في بيت أم شريك الذي يغشاه الصحابة..

ومع التسليم بطهارة القلوب.. كل القلوب يومئذ.. إلا أنها لفتة نبوية قوية إلى ضـرورة الاحتيـاط.. فرارًا من كـيد الشيطان الذي مـا يفتـأ يكيد للإنسان حتى في أطهر بيئة عرفتها الحياة.

•••

بل إن كـيد الشـيطان ليدق وبالذات في الجـو الطاهر.. لعله يقـتنص صيدًا ثمـينًا يهز به بناء الإسلام.. حين تكون ضربـته في الخشب.. لا في السلب!

•••

وحتى لا تشـعر فـاطمة بالاغـتراب يوصيـها بإعـلامه.. عند انتـهاء عدتها..

ولا شك أنها الرحمة والرأفة.. وكـانت أحق بها وأهلها «مطلقة» كان اسمها بالأمس: الروح.. والقمر..

أما اليوم فهي مجـرد «فاطمة» يعود إليها اسمهـا الحقيقي والذي غاب

أيامًا في زحمة الانفعالات..

لقد عاشت من قبل عاطفة الحب.. الذي كان هو البداية، وإذا بقيامتها اليوم تقوم: بالطلاق الذي أنهى هذه البداية! لقد كان الزوج من قبل يفتح عليها عينيه.. ثم إذا هو اليوم يغمضها.. وكأن شيئًا لم يكن!

وأحيانًا تكون أحزان البرايا.. مطايًا.. تقودهم إلى ما لا تحمد عقباه

●●●

ولقد كان من سعادة «فاطمة» رضي الله عنها أن تكون من الرسول في سويداء قلبه..

وإذا مرت أيام.. العدة.. بطيئة ثقيلة.. فقد انتهت على أي حال.. لتذهب إليه ﷺ.. لتوفي بعهدها بأخباره.. حتى يتصرف!

●●●

ولقد أخبرته أن اثنين من رموز المجتمع تقدما لخطبتها.. ويعني ذلك.. أن ليل الهموم قد انجلى عن ضوء النهار.. وأن تجربتها التي كانت مفعمة بحرارة المعاناة اليومية.. صارت اليوم كتابًا منقوشًا في طبعة جديدة على لوحها الحساس!ولكنها لا تريد أن تنفرد في القضية بقرار..ذلك بإن فشل التجربة الأولى.. قد تتحمله النفوس.. على رجاء عوض جميل جديد..

ولكن فشل التجربة الثانية.. يَنْكأ الجراح.. ولا أمل فيها للنجاح.. من أجل ذلك تعرض عليه ﷺ أسماء من تقدموا لخطبتها.

●●●

ولقد كان ﷺ نعم الولي.. الذي يختار لابنته أفضل ما يليق بها..

ومع تقديره ﷺ للـرجلين كليهمـا.. إلا أنه ينوب عنها في الاعـتذار إليهمـا.. حماية لها من تجـربة لو تمت.. فسوف تجعل حـياتها جحـيمًا لا يطاق:

فمع التقدير الكامل لمعـاوية.. إلا أنه فقير.. ثم «لأبي الجهم».. إلا أنه عنيف!

ولما كان المسـتشار مؤتمنًا.. فـقد كان ﷺ طليعـة المؤتمنين الواقفين مع «المطلقة».. التي يجب أن نختار لها من يملأ حياتها.. لتستأنفها من جديد.

وكان هو «أسـامة بن زيد» رضي الله عنه.. والذي كان «مقـاتلاً» يخلف اليوم مقاتلاً في مملكته.. وصدق الله العظيم

﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ﴾.

الاختلاف الوبيل ومحاولة نزع الفتيل

تظل الأسرة مستقرة مستمرة.. ما دارت على محورين: المودة.. والرحمة.. ليتحقق بهما معًا: السكن المنشود.

●●●

ولكن قد تطرأ عوامل.. لم تكن في حساب.. تحاول أن تشوه هذا الجمال.. أو أن تسلب ذلك الكمال.

وإذن فباسم هذه الرحمة.. وتلك المودة. ينبغي أن تهب كل الأطراف المعنية.. حتى تستقر السفينة التي تلعب بها الأمواج.. وقبل أن تواجه الأعاصير: ويتم ذلك عبر مراحل ثلاث:

أ ـ مسئولية الزوج الذي يمسك بالمجداف بحكم قوامته ورجولته.. وذلك قوله تعالى ﴿وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ..﴾. [النساء: ٣٤].

ب ـ مسئولية الأسرتين التي تفرض عليهما انتخاب حكمين في محاولة لرأب الصدع.. وردع الطرف المستبد.. والذي يحاول بالاستبداد أن يحيط نفسه بقضبان من التفاليد تجعله فوق النقد. وفوق المساءلة.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾. [النساء: ٣٥].

ويعني ذلك: أن تدخل الحكمين لا يكون مبكرًا.. وعند بادرة الخلاف الأولى.. ولكن عندما يوشك الطرفان أن يتنافضا كل في ناحية يناوئ صاحبه.

وذلك.. يتيح للزوجين فرصة يتفاهمان معًا فيها أو لا وبمعزل عن كل الأقربين والأبعدين..

﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾. [النساء: ١٢٨].

●●●

وعندما تستعلي الزوجة على محنتها بهذه المبادرة الإيجابية مع الزوج.. تكون أعقل من تلك التي فقدت مقاومتها واستسلمت لبوادر اليأس القاتل.. قائلة:

نفد الدمع على طول البكا

فاستعار الحب لحمي ودمي

أنا والآلام تستهـــــــدفني

نادم.. لوكان يغني ندمـــي

قد كرهت النوم حتى أنني

لو أتاني طيفكم لم أنـم!

إن الطلاق عملية طويلة تنتهي به «شركة زوجية». كان من الأفضل للمجتمع أن تبقى..

إنها عمليـة إنسانية ملتزمـة بالصبر وبالحكمة والأناة وهي تـتخذ نفس المراحل المقابلة لعملية الزواج نفسها:

من طول البـحث. وحسن النيـة. واستبـعاد فكرة التـفريق. وحـشد الأقرباء، والأصدقاء في سبيل إعادة دعم هذه «الشركة الزوجية» بكل وسائل إنقاذها من «الإفلاس».. قبل التوقف عند النهاية المكروهه أخيراً وهي.

ضرورة التفريق..أو الطلاق.

●●●

فإذا استنفـدت كل الجهود.. ووصلت العلاقـة إلى طريق مسدود.. كان لا بد من غضبة مضرية لحمايتها.

من السقوط.. هذا السقوط المحتمل. والذي يجد فيه كل من الطرفين نفسه بين شقي الرحى:

إمـا الانفلات وتحـطيم كل القـيود.. وإمـا الإحـباط وتراكـم العقـد النفسية. ثم ليكون الفراق بعد ذلك: الكيّ.. وهو آخر الدواء الذي لا مفر منه وإن كان مر المذاق.

●●●

إنه الطلاق:

[الذي تقطع به شـجرة المودة والرحمـة والذرية في آية من أعظم آيات الله ـ وتجريدها من ظلهـا المؤنس.. وتشريد من كان حـقهم أن يفيـئوا إلى ظلها من الأبنـاء والبنات ثم.. قطع كل تلك الأواصر. التي جـمع الله بها الزواج بين أهل الزوجين وأصدقائهما.

لكي لا يبـقى من حصـاده إلا هذه الذكريات الأليـمة. التي يـتركـها الفراق والطلاق.. لتجـتر ذاكرة الزوجين.. وهما يتذكـران ـ كلما تذكرا ـ بعد صـمت العاصفـة.. ذلك الجرح.. أو تلك الجراح. التي أصـابت كلاً منهـما.. نتـيجـة سقـوط بيت قبل أن يتم. وفـشل زواج دون أن يوفق.. وانطفاء جذوة مقدسة ومطهرة.. قبل أن تضئ ما حولها].

●●●

وهذا هو حصاد الهـشيم.. متمثلاً فـي تلك الصورة الكابية.. ولعل في تمليها ما يزهد الغاضبين فيها

●●●

وعجيب أمر المتسرعين:

﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ * لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٢ / ٣].

ومن الذكر:

أننا ندعو الله تعالى.. فيستجيب لنا..

أما حين يدعونا سبحانه.. فإن خطانا تبدو متثاقلة وفي غمرة انفعالاتنا ننسى هذا.. أو نتناساه لاهين لاعـبين.. غافلين عن عقبى عـبادتنا أهواءنا معـرضين عن الدواء الذي يخلصنا من صدام العـواطف ومن الدواء.. هذا الدعاء الذي كان يكثر منه ﷺ:

[يا مقلب القـلوب: ثبت قلبي على دينك وطاعتك]. فـهل دعونا الله تعالى أن يثبت قلوبنا.. حتى لا نطرد أعزاءنا.. ونيتم أكبادنا؟

لقد كان العالِم يبدأ الحديث مخلصًا.. وأثناء دراسته يعترضه ما يغير نيته.. وإذن فالحديث الواحد يحتاج إلى مجموعة من النوايا تواكب المحدث حتى ينتهي من حديثه..

وكذلك الزوج.. والزوجة: فليكونا على حذر من تقلب القلوب. ذلك بأن القلوب مثل ريشة تقلبها الريح ظهرًا لبطن.. والأزواج مطالبون باتقاء الفتنة.. باللجأ إلى مقلب القلوب سبحانه.. والذي لا يخيب من رجاه.. ولا يرده يديه صفرًا.

obeikandl.com